غرام الكبار

obeikan.com

obeikan.com

هو صاحب مفاتيح أسرار مي زيادة التي لا يعرفها سواه ؟!

فهل فقدت عقلها بسببه ؟!

جرت خلفه وطاردها ووقع كل منهما في شِباك الآخر فماذا حدث ؟!

كيف ترك صالونها يوم الثلاثاء ليستأثر وحده بيوم الأحد ؟!

ماذا قدَّم العقاد لمي حتى تمنحه وحده يوماً مستقلاً في حين تمنح كل رجالها جماعة يوماً واحداً ؟!

إنه الرجل الخبطة والحدث الأخطر في تاريخ مي زيادة قاطبة .. فماذا عن هذا الإعصار البشري المسمى بعباس محمود العقاد ؟!

***

يُعد العقاد من أهم إن لم يكن أهم الأدباء المصريين في العصر الحديث فقد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من المواهب والمَلَكَات فهو كاتب كبير وشاعر لامع وناقد بصير ومؤرخ حصيف ولغوي بصير وسياسي حاذق وصحفي نابه .

وقد تبوأ العقاد مكانة عالية في النهضة الأدبية الحديثة ندر من نافسه فيها فهو يقف بين أعلامها وكلهم هامات سامقة علمًا شامخًا وقمة باذخة يبدو لمن يقترب منه كالبحر العظيم من أي الجهات أتيته راعك اتساعه وعمقه أو كقمة الهرم الراسخ لا ترقى إليه إلا من قاعدته الواسعة واجتمع له ما لم يجتمع لغيره من المواهب والمَلَكَات فهو كاتب كبير وشاعر لامع وناقد بصير ومؤرخ حصيف ولغوي بصير وسياسي حاذق وصحفي نابه ولم ينل منزلته الرفيعة بجاه أو سلطان أو بدرجات وشهادات بل نالها بمواهبه المتعددة وهمته العالية ودأبه المتصل عاش من قلمه وكتبه وترفع عن الوظائف والمناصب لا كرها فيها بل صونًا لحريته واعتزازًا بها وخوفًا من أن تنازعه الوظائف عشقه للمعرفة.

وحياة العقاد سلسلة طويلة من الكفاح المتصل والعمل الدءوب صارع الحياة والأحداث وتسامى على الصعاب وعرف حياة السجن وشظف العيش واضطهاد الحكام لكن ذلك كله لم يُوهِنْ عزمه أو يصرفه عما نذر نفسه له خلص للأدب والفكر مخلصًا له وترهب في محراب العلم فأعطاه ما يستحق من مكانة وتقدير.

مولد العملاق :

في مدينة أسوان بصعيد مصر وُلِدَ عباس محمود العقاد في يوم الجمعة الموافق (٢٩ من شوال ١٣٠٦هـ= ٢٨ من يونيو ١٨٨٩) ونشأ في أسرة كريمة وتلقى تعليمه الابتدائي وحصل منها على الشهادة الابتدائية وهو في الرابعة عشرة من عمره.

أرسله والده وهو في عمر السادسة إلى الكُتاب لتعلم القران الكريم ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الابتدائية « مدرسة أسوان الأميرية » التي قضى فيها أربع سنوات فقط وكانت تلك السنوات هي ختام دراسته التعليمية حيث تركها سنة (١٣٢١هـ= ١٩٠٣م) وبدأت رحلته الطويلة من التثقيف الذاتي .

وفي أثناء دراسته كان يتردد مع أبيه على مجلس الشيخ أحمد الجداوي وهو من علماء الأزهر الذين لزموا جمال الدين الأفغاني وكان مجلسه مجلس أدب وعلم فأحب الفتى الصغير القراءة والاطلاع فكان مما قرأه في هذه الفترة «المُسْتَطْرَف في كل فن مستظرف» للأبشيهي و«قصص ألف ليلة وليلة» وديوان البهاء زهير وغيرها وصادف هذا هوى في نفسه ما زاد إقباله على مطالعة الكتب العربية والإفرنجية وبدأ في نظم الشعر.

حياته ومعاناته :

ورغم أن العقاد لم يكمل تعليمه بالحصول على الشهادة الابتدائية عمل موظفًا في

الحكومة بمدينة قنا سنة (١٣٢٣هـ= ١٩٠٥م) ثم نُقِلَ إلى الزقازيق سنة (١٣٢٥هـ= ١٩٠٧م) وعمل في القسم المالي بمديرية الشرقية وفي هذه السنة توفي أبوه فانتقل إلى القاهرة واستقر بها.

وأثناء رحلته الباحثة عن ذاته ومعاناته مع الحياة عمل العقاد بمصنع للحرير في مدينة دمياط وعمل بالسكك الحديدية لأنه لم ينل من التعليم حظا وافرا حيث حصل على الشهادة الابتدائية فقط لكنه في الوقت نفسه كان مولعا بالقراءة في مختلف المجالات وقد أنفق معظم نقوده على شراء الكتب .

مارَسَ العقاد العمل الروتيني فعمل بمصلحة البرق ولكنه لم يعمر فيها كسابقتها فاتجه إلى العمل بالصحافة مستعينا بثقافته وسعة إطلاعه فاشترك مع «محمد فريد وجدي» في إصدار صحيفة الدستور وكان إصدار هذه الصحيفة فرصة لكي يتعرف العقاد بسعد زغلول ويؤمن بمبادئه وتوقفت الصحيفة بعد فترة وهو ما جعل العقاد يبحث عن عمل يقتات منه فاضطر إلى إعطاء بعض الدروس ليحصل على قوت يومه .

صناعة القلم وحرفة الكتابة .. والسياسة :

ضاق العقاد بحياة الوظيفة وقيودها ولم يكن له أمل في الحياة غير صناعة القلم وهذه الصناعة ميدانها الصحافة فاتجه إليها وكان أول اتصاله بها في سنة (١٣٢٥هـ= ١٩٠٧م) حين عمل مع العلامة محمد فريد وجدي في جريدة الدستور اليومية التي كان يصدرها وتحمل معه أعباء التحرير والترجمة والتصحيح من العدد الأول حتى العدد الأخير فلم يكن معهما أحد يساعدهما في التحرير.

وبعد توقف الجريدة عاد العقاد سنة (١٣٣١هـ= ١٩١٢م) إلى الوظيفة بديوان الأوقاف لكنه ضاق بها فتركها واشترك في تحرير جريدة المؤيد التي كان يصدرها

الشيخ علي يوسف .

وسرعان ما اصطدم بسياسة الجريدة التي كانت تؤيد الخديوي عباس حلمي فتركها وعمل بالتدريس فترة مع الكاتب الكبير إبراهيم عبد القادر المازني ثم عاد إلى الاشتغال بالصحافة في جريدة الأهالي سنة (١٣٣٦هـ= ١٩١٧م) وكانت تَصْدُر بالإسكندرية ثم تركها وعمل بجريدة الأهرام سنة (١٣٣٨هـ= ١٩١٩م) واشتغل بالحركة الوطنية التي اشتغلت بعد ثورة ١٩١٩م وصار من كُتَّابها الكبار مدافعًا عن حقوق الوطن في الحرية والاستقلال وأصبح الكاتب الأول لحزب الوفد المدافع عنه أمام خصومه من الأحزاب الأخرى ودخل في معارك حامية مع منتقدي سعد زغلول زعيم الأمة حول سياسة المفاوضات مع الإنجليز بعد الثورة.

وبعد فترة انتقل للعمل مع عبد القادر حمزة سنة (١٣٤٢هـ= ١٩٢٣م) في جريدة البلاغ وارتبط اسمه بتلك الجريدة وملحقها الأدبي الأسبوعي لسنوات طويلة ولمع اسمه وذاع صيته وأُنتخب عضوا بمجلس النواب ولن يَنسى له التاريخ وقفته الشجاعة حين أراد الملك فؤاد إسقاط عبارتين من الدستور تنص إحداهما على أن الأمة مصدر السلطات والأخرى أن الوزارة مسئولة أمام البرلمان فارتفع صوت العقاد من تحت قبة البرلمان على رؤوس الأشهاد من أعضائه قائلا: «إن الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس في البلاد يخون الدستور ولا يصونه» وقد كلفته هذه الكلمة الشجاعة تسعة أشهر من السجن سنة (١٣٤٩هـ= ١٩٣٠م) بتهمة العيب في الذات الملكية.

وظل العقاد منتميًا لحزب الوفد حتى اصطدم بسياسته تحت زعامة مصطفى النحاس باشا في سنة (١٣٥٤هـ= ١٩٣٥م) فانسحب من العمل السياسي وبدأ نشاطُه الصحفي يقل بالتدريج وينتقل إلى مجال التأليف وإن كانت مساهماته بالمقالات لم تنقطع إلى الصحف فشارك في تحرير صحف روزاليوسف والهلال

وأخبار اليوم ومجلة الأزهر.

ولم يتوقف إنتاجه الأدبي أبدا رغم ما مر به من ظروف قاسية حيث كان يكتب المقالات ويرسلها إلى مجلة فصول كما كان يترجم لها بعض الموضوعات.

أما عن أعماله الفكرية الأدبية فهي كثيرة للغاية ويصعب حصرها لكن بداية ظهوره قي الإنتاج الأدبي كان في سنة ١٩١٦ مع ديوانه الشعري الأول وصدر له بعد ذلك مجموعات شعرية مثل: هداية الكروان وأعاصير المغرب وحي الأربعين وعابر سبيل.

أدت استقالة العقاد من وظيفته الحكومية إلى اشتعال مهنته الأدبية وبدأ بالكتابة في الصحافة مدافعاً عن الديمقراطية ثم عمل محرراً في جريدتي «الدستور» و«البيان» وقام أيضاً بكتابة مقالات نقدية في جريدة «عكاظ».

أسس بالتعاون مع إبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري «مدرسة الديوان» وكانت هذه المدرسة من أنصار التجديد في الشعر والخروج به عن القالب التقليدي العتيق.

عمل العقاد بمصنع للحرير في مدينة دمياط وعمل بالسكك الحديدية لأنه لم ينل من التعليم حظا وافرا حيث حصل على الشهادة الإبتدائية فقط لكنه في الوقت نفسه كان مولعا بالقراءة في مختلف المجالات وقد أنفق معظم نقوده على شراء الكتب والتحق بعمل كتابي بمحافظة قنا ثم نقل إلى محافظة الشرقية مل العقاد العمل الروتيني فعمل بمصلحة البرق ولكنه لم يعمر فيها كسابقتها فاتجه إلى العمل بالصحافة مستعينا بثقافته وسعة إطلاعه فاشترك مع محمد فريد وجدي في إصدار صحيفة الدستور وكان إصدار هذه الصحيفة فرصة لكي يتعرف العقاد بسعد زغلول ويؤمن بمبادئه. وتوقفت الصحيفة بعد فترة وهو ماجعل العقاد يبحث عن عمل يقتات منه فاضطر إلى إعطاء بعض الدروس ليحصل على قوت يومه .

لم يتوقف إنتاجه الأدبي أبدا رغم ما مر به من ظروف قاسية حيث كان يكتب

المقالات ويرسلها إلى مجلة فصول كما كان يترجم لها بعض الموضوعات.

أما عن أعماله الفكرية الأدبية فهي كثيرة للغاية ويصعب حصرها لكن بداية ظهوره في الإنتاج الأدبي كان في سنة ١٩١٦ يتمثل ديوانه في عشرة أجزاء هي : [هداية الكروان - أعاصير مغرب - وحي الأربعين - عابر السبيل - يقظة الصباح - وهج الظهيرة - أشباح الأصيل - أشجان الليل - وحي الأربعين - بعد الأعاصير - ما بعد البعد] .

من أشهر أعمال العقاد سلسلة العبقريات الاسلامية التي تناولت بالتفصيل سير أعلام الإسلام مثل: [عبقرية محمد - عبقرية عمر - عبقرية خالد - عبقرية الإمام - عبقرية الصديق ، وغيرها].

ولم يكتب إلا رواية واحدة هي «سارة» ومن أهم مؤلفاته أيضا: الفلسفة القرآنية والله وإبليس والإنسان في القران الكريم ومراجعات في الأدب والفنون.

منحه الرئيس المصري جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية في الآداب غير أنه رفض تسلمها كما رفض الدكتوراة الفخرية من جامعة القاهرة.

اشتهر بمعاركه الفكرية مع الدكتور زكي مبارك والأستاذ محمود شاكر والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وكان الأستاذ سيد قطب يقف في صف العقاد.

التفكير فريضة إسلامية :

يواصل العقاد حديثه عن العقل وموقعه في الاسلام فيقول أن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به والرجوع اليه ولا تأتي الاشارة اليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر

والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه. ويضيف العقاد: أنه لا يأتي تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة. بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع أي الذي يحول بين صاحبه وما يشتهيه على أساس أخلاقي ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة أو وظيفة وهي كثيرة لا موجب لتفصيلها في هذا المقام المجمل إذ هي جميعا مما يمكن أن يحيط به العقل الوازع والعقل المدرك والعقل المفكر الذي يتولى الموازنة والحكم على المعاني والأشياء.

محطات في حياة العقاد :

ألف العقاد أكثر من ١٠٢ كتاباً تغطى قضايا فكرية وأدبية وأثناء الفترة من ١٩١٦ وحتى ١٩٥٨ قام بتأليف ١١ جزءاً من الشعر حيث يعتبر أحد رواد الإبداع الشعري الذين يؤمنون بأن الشاعر لابد أن يظهر خصائصه الفردية.

قام بتأليف رواية واحده تسمى «سارة» بالرغم من كونه شاعراً ذو إنتاج وافر وفيها يحكى العقاد تجربته الشخصية في حياته مع المرأة الوحيدة التي أحبها كما كان يقدر المرأة كثيراً ويحترمها فكتب ثلاثة كتب دعا فيها إلى المشاركة الكاملة للمرأة في المجتمع.

في عام ١٩٣١ كتب العقاد قصته الوحيدة لفيلم «أغنية القلب» وفى عام ١٩٣٢ كتب ١٥ سيرة ذاتية عن شخصيات بارزة كثيرة مثل الزعيم المصري سعد زغلول

والفيلسوف العربي ابن رشد وبنيامين فرانكلين وفرانسيس باكون وآخرون موضحاً في كتاباته أسباب عظمة هؤلاء الشخصيات.

كما قام في عام ١٩٥٤ بترجمة الكثير من روائع الأدب العالمي في جزأين وخصص إحداهما إلى القصص القصيرة الأمريكية.

اتسم العقاد كفيلسوف بعدم التأثر بأي اتجاه فكانت فلسفته الفردية تقوم على العقل وبتناسق كامل مع الوعي الروحي والشعور فكان يؤمن بحرية النقد الأدبي فألف ١١ جزءاً في هذا المجال منهم «مقدمة إلى شكسبير» في عام ١٩٥٨ .

في عام ١٩٤٠ تم اختياره كعضو في مجمع اللغة العربية وأصبح أيضاً عضواً في المجلس الأعلى للأدب والفنون في عام ١٩٥٦ وتقديراً لإسهاماته الأدبية مُنح العقاد جائزة الدولة التقديرية في عام ١٩٦٠.

كتب العقاد عشرات الكتب في موضوعات مختلفة فكتب في الأدب والتاريخ والاجتماع مثل: مطالعات في الكتب والحياة ومراجعات في الأدب والفنون وأشتات مجتمعة في اللغة والأدب وساعات بين الكتب وعقائد المفكرين في القرن العشرين وجحا الضاحك المضحك وبين الكتب والناس والفصول واليد القوية في مصر.

ووضع في الدراسات النقدية واللغوية مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب «الديوان في النقد والأدب» بالاشتراك مع المازني وأصبح اسم الكتاب عنوانًا على مدرسة شعرية عُرفت بمدرسة الديوان وكتاب «ابن الرومي حياته من شعره» وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ورجعة أبي العلاء وأبو نواس الحسن بن هانئ واللغة الشاعرية والتعريف بشكسبير.

كما له في السياسة عدة كتب يأتي في مقدمتها: «الحكم المطلق في القرن العشرين»

و«هتلر في الميزان» و«أفيون الشعوب» و«فلاسفة الحكم في العصر الحديث» و«الشيوعية والإسلام» و«النازية والأديان» و«لا شيوعية ولا استعمار».

أسهم عباس العقاد في الترجمة عن الإنجليزية بكتابين هما «عرائس وشياطين وألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي».

في ١٢ مارس ١٩٦٤ توفى المفكر المصري البارز عباس محمود العقاد الذي كان كاتباً وشاعراً ومؤرخاً وفيلسوفاً وصحفياً ومترجماً.

■ ■ ■

obeikan.com

عباس محمود العقاد ومي زيادة

كان الكاتب المفكر عباس محمود العقاد وهو من ألمع مفكري عصره لا ينكر حبه لمي وقد لمح له كثيراً في روايته سارة وأعطى مي اسماً مستعاراً هو هند وعرفها العقاد في البداية عن طريق مقالاتها في الصحف ثم من كتبها وبدأت علاقتهما بالخطابات هو من أسوان بلدته التي يقيم بها قبل استقراره في القاهرة وهي من القاهرة حيث استوطنت مصر بعد قدومها من لبنان بصحبة والديها.

وعندما عاد العقاد من أسوان سارع بزيارة مي يملؤه الشوق والحنين إلى تلك الشخصية التي فتنته قبل أن يراها !

وتقارب الأديبان : العقلان والقلبان لكن حب العقاد لمي كان مختلفاً عن حب مي للعقاد كان العقاد يؤمن بطوفان المشاعر وتوحد الحبيبين نفساً وروحاً وجسداً وكانت مي تؤمن بالحب الصافي السامي العفيف الذي يرتفع عن رغبات الجسد ويسمو إلى عالم الروحانيات وصداقة الفكر. ولا شك أن العقاد احترق بحب مي في صمت والدليل على ذلك قصائده الكثيرة إليها التي تحمل كل مشاعر الحب والتتيم بها .

ويصف العقاد في روايته «سارة » طبيعة علاقته بمي دون التصريح باسمها .. بل اختار لها اسماً مستعاراً هو : هند . فيقول : كان يحبها الحب الذي جعله ينتظر الرسالة أو حديث التليفون كما ينتظر العاشق موعد اللقاء وكانا كثيراً ما يتراسلان أو يتحدثان وكثيراً ما يتباعدان ويلتزمان الصمت الطويل إيثاراً للتقية واجتناباً للقال والقيل وتهدئة من جماح العاطفة وإذا خافا عليها الانقطاع.

كانت الخطابات المتبادلة بين مي والعقاد ثروة أدبية .. فكرية .. إنسانية ودليل في نفس الوقت على رابطة متينة قوية بين الطرفين .

وفي كتاب : « غرام مي وجبران بين الحقيقة والخيال » .. الملاحظ في رسائلها الغرامية إلى جبران أنها كانت تعيش شبه حالة حب مع عباس محمود العقاد استناداً إلى رسائل اكتشفها طاهر الطناحي وتقول في إحداها ، وكانت مؤرخة في ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٢٥ : إنني لا أستطيع أن أصف لك شعوري حين قرأت القصيدة التي أرسلتها لي وحسبي أن أقول لك أن ما تشعر به نحوي هو نفس ما شعرت به نحوك منذ أول رسالة كتبتها إليك وأنت في بلدتك التاريخية أسوان .

بل إنني خشيت أن أفاتحك بشعوري نحوك منذ زمن بعيد منذ أول مرة رأيتك فيها بدار جريدة « المحروسة» .

إن الحياء منعني وقد ظننت أن اختلاطي بالزملاء يثير حمية الغضب عندك . والآن عرفت شعورك وعرفت لماذا لا تميل إلى جبران خليل جبران .. لا تحسب إنني اتهمك بالغيرة من جبران فهو في نيويورك لم يرني ولعله لن يراني كما أنني لم أراه إلا في تلك الصور التي تنشرها الصحف .

سأعود قريباً إلى مصر وستجمعنا زيارات وجلسات أفضي فيها لك بما تدخره نفسي ويضمه وجداني فعندي أشياء كثيرة أقولها لك .

وفي قصة «سارة» التي كتبها العقاد .. وروى فيها حبه لامرأتين هما « سارة » و«هند» .. وصفها فقال : إحداهما حولها نهر يساعد على الوصول إليها .. والأخرى حولها نهر يمنع من الوصول إليها وكان يقصد بالأخرى مي .

وقال العقاد عن مي ذات مرة : لقد كانت متدينة تؤمن بالبعث .. وأنها ستقف بين يدي الله يوماً ويحاسبها على آثامها فكانت برغم شعورها بالحياة وإحساسها العمق الصادق وذكائها الوضاء وروحها الشفافة ورقتها وأنوثتها تحرص على أن تمارس هذه الحياة بعفة واتزان .

المستقبل في عيون مفكر

عُرف العقاد منذ صغره بنهمه الشديد في القراءة وإنفاقه الساعات الطوال في البحث والدرس وقدرته الفائقة على الفهم والاستيعاب وشملت قراءاته الأدب العربي والآداب العالمية فلم ينقطع يومًا عن الاتصال بهما لا يحوله مانع عن قراءة عيونها ومتابعة الجديد الذي يصدر منهما وبلغ من شغفه بالقراءة أنه يطالع كتبًا كثيرة لا ينوي الكتابة في موضوعاتها حتى إن أديبًا زاره يومًا فوجد على مكتبه بعض المجلدات في غرائز الحشرات وسلوكها فسأله عنها فأجابه بأنه يقرأ ذلك توسيعًا لنهمه وإدراكه حتى ينفذ إلى بواطن الطبائع وأصولها الأولى ويقيس عليها دنيا الناس والسياسة.

وكتب العقاد عشرات الكتب في موضوعات مختلفة فكتب في الأدب والتاريخ والاجتماع مثل: مطالعات في الكتب والحياة ومراجعات في الأدب والفنون وأشتات مجتمعة في اللغة والأدب وساعات بين الكتب وعقائد المفكرين في القرن العشرين وجحا الضاحك المضحك وبين الكتب والناس والفصول واليد القوية في مصر.

ووضع في الدراسات النقدية واللغوية مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب «الديوان في النقد والأدب» بالاشتراك مع المازني وأصبح اسم الكتاب عنوانًا على مدرسة شعرية عُرفت بمدرسة الديوان وكتاب «ابن الرومي حياته من شعره» وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ورجعة أبي العلاء وأبو نواس الحسن بن هانئ واللغة الشاعرية والتعريف بشكسبير.

وله في السياسة عدة كتب يأتي في مقدمتها: «الحكم المطلق في القرن العشرين»

و«هتلر في الميزان» و«أفيون الشعوب» و«فلاسفة الحكم في العصر الحديث» و«الشيوعية والإسلام» و«النازية والأديان» و«لا شيوعية ولا استعمار».

وهو في هذه الكتب يحارب الشيوعية والنظم الاستبدادية ويمجد الديمقراطية التي تكفل حرية الفرد الذي يشعر بأنه صاحب رأي في حكومة بلاده وبغير ذلك لا تتحقق له مزية وهو يُعِدُّ الشيوعية مذهبًا هدَّامًا يقضي على جهود الإنسانية في تاريخها القديم والحديث ولا سيما الجهود التي بذلها الإنسان للارتفاع بنفسه من الإباحية الحيوانية إلى مرتبة المخلوق الذي يعرف حرية الفكر وحرية الضمير.

وله تراجم عميقة لأعلام من الشرق والغرب مثل «سعد زغلول وغاندي وبنيامين فرانكلين ومحمد علي جناح وعبد الرحمن الكواكبي وابن رشد والفارابي ومحمد عبده وبرناردشو والشيخ الرئيس ابن سينا».

وأسهم في الترجمة عن الإنجليزية بكتابين هما «عرائس وشياطين وألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي».

■ ■ ■

إسلاميات العقاد

تجاوزت مؤلفات العقاد الإسلامية أربعين كتابًا شملت جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية فتناول أعلام الإسلام في كتب ذائعة عرف كثير منها باسم العبقريات استهلها بعبقرية محمد ثم توالت باقي السلسلة التي ضمت عبقرية الصديق وعبقرية عمر وعبقرية علي وعبقرية خالد وداعي السماء بلال وذو النورين عثمان والصديقة بنت الصديق وأبو الشهداء وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وفاطمة الزهراء والفاطميون.

وهو في هذه الكتب لا يهتم بسرد الحوادث وترتيب الوقائع وإنما يعني برسم صورة للشخصية تُعرِّفنا به وتجلو لنا خلائقه وبواعث أعماله مثلما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين.

وقد ذاعت عبقرياته وأُشتهرت بين الناس وكان بعضها موضوع دراسة الطلاب في المدارس الثانوية في مصر وحظيت من التقدير والاحتفاء بما لم تحظ به كتب العقاد الأخرى.

وألَّف العقاد في مجال الدفاع عن الإسلام عدة كتب يأتي في مقدمتها: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه والفلسفة القرآنية والتفكير فريضة إسلامية ومطلع النور والديمقراطية في الإسلام والإنسان في القرآن الكريم والإسلام في القرن العشرين وما يقال عن الإسلام.

وهو في هذه الكتب يدافع عن الإسلام أمام الشبهات التي يرميه بها خصومه وأعداؤه مستخدمًا علمه الواسع وقدرته على المحاجاة والجدل وإفحام الخصوم بالمنطق السديد فوازن بين الإسلام وغيره وانتهى من الموازنة إلى شمول حقائق

الإسلام وخلوص عبادته وشعائره من شوائب الملل الغابرة حين حُرِّفت عن مسارها الصحيح وعرض للنبوة في القديم والحديث وخلص إلى أن النبوة في الإسلام كانت كمال النبوات وختام الرسالات وهو يهاجم الذين يدعون أن الإسلام يدعو إلى الانقياد والتسليم دون تفكير وتأمل ويقدم ما يؤكد على أن التفكير فريضة إسلامية وأن مزية القرآن الأولى هي التنويه بالعقل وإعماله ويكثر من النصوص القرآنية التي تؤيد ذلك ليصل إلى أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء.

وقد رد العقاد في بعض هذه الكتب ما يثيره أعداء الإسلام من شبهات ظالمة يحاولون ترويجها بشتى الوسائل مثل انتشار الإسلام بالسيف وتحبيذ الإسلام للرق وقد فنَّد الكاتب هذه التهم بالحجج المقنعة والأدلة القاطعة في كتابه «ما يقال عن الإسلام».

■ ■ ■

obeikan.com

شاعرية العقاد :

لم يكن العقاد كاتبًا فذا وباحثًا دؤوبًا ومفكرًا عميقًا ومؤرخًا دقيقًا فحسب بل كان شاعرًا مجددًا له عشرة دواوين هي:

[يقظة الصباح ووهج الظهيرة وأشباح الأصيل وأعاصير مغرب وبعد الأعاصير وأشجان الليل ووحي الأربعين وهدية الكروان وعابر سبيل] وديوان من دواوين وهذه الدواوين العشرة هي ثمرة ما يزيد على خمسين عامًا من التجربة الشعرية منها :

١ - ديوان من دواوين .

٢ - وحى الاربعين .

٣ - هدية الكروان .

٤ - عابر سبيل .

والأخير من أطرف دواوينه حيث أراد به أن يبتدع طريقة في الشعر العربي ولا يجعل الشعر مقصورًا على غرض دون غرض فأمور الحياة كلها تصلح موضوعًا للشعر ولذا جعل هذا الديوان بموضوعات مستمدة من الحياة ومن الموضوعات التي ضمها الديوان قصيدة عن «عسكري المرور» جاء فيها :

متحكم في الراكبين ... وما له أبدًا ركوبة

لهم المثوبة من بنانك ... حين تأمر والعقوبة

مُر ما بدا لك في الطريق ... ورض على مهل شعوبه

أنـــا ثـــائر أبـــدًا ومـــا فـــي ثـــورتي أبـــدًا صعـــوبة
أنـــا راكـــب رجـــلي فـــلا أمْـــرٌ عـــليَّ ولا ضريبـــة

■ ■ ■

obeikan.com

تقدير العقاد

لقي العقاد تقديرا وحفاوة في حياته من مصر والعالم العربي فاخْتير عضوًا في مجمع اللغة العربية بمصر سنة (١٣٥٩هـ= ١٩٤٠م) فهو من الرعيل الأول من أبناء المجمع واخْتير عضوًا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق ونظيره في العراق وحصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة (١٣٧٩هـ= ١٩٥٩م).

وتُرجمت بعض كتبه إلى اللغات الأخرى فتُرجم كتابه المعروف «الله» إلى الفارسية ونُقلت عبقرية محمد وعبقرية الإمام علي وأبو الشهداء إلى الفارسية والأردية والملاوية كما تُرجمت بعض كتبه إلى الألمانية والفرنسية والروسية.

وكان أدب العقاد وفكره ميدانًا لأطروحات جامعية تناولته شاعرًا وناقدًا ومؤرخًا وكاتبًا وأطلقت كلية اللغة العربية بالأزهر اسمه على إحدى قاعات محاضراتها وبايعه طه حسين بإمارة الشعر بعد موت شوقي وحافظ إبراهيم قائلا: «ضعوا لواء الشعر في يد العقاد وقولوا للأدباء والشعراء أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه».

وقد أصدرت دار الكتب نشرة بيلوجرافية وافية عن مؤلفات العقاد وأصدر الدكتور حمدي السكوت أستاذ الأدب العربي بالجامعة الأمريكية كتابًا شاملا عن العقاد اشتمل على بيلوجرافية لكل إنتاج العقاد الأدبي والفكري ولا تخلو دراسة عن الأدب العربي الحديث عن تناول كتاباته الشعرية والنثرية.

واشْتُهر العقاد بصالونه الأدبي الذي كان يعقد في صباح كل جمعة يؤمه تلامذته ومحبوه يلتقون حول أساتذتهم ويعرضون لمسائل من العلم والأدب والتاريخ دون الإعداد لها أو ترتيب وإنما كانت تُطْرح بينهم ويُدلي كل منهم بدلوه وعن هذه

الجلسات الشهيرة أخرج أنيس منصور كتابه « في صالون العقاد».

وأطلقت كلية اللغة العربية بالأزهر اسمه على إحدى قاعات محاضراتها وسمي بأسمه أحد أشهر شوارع القاهرة وهو شارع عباس العقاد الذي يقع في مدينة نصر .

وفاته :

ظل العقاد عظيم الإنتاج لا يمر عام دون أن يسهم فيه بكتاب أو عدة كتب حتى تجاوزت كتُبُه مائةَ كتاب بالإضافة إلى مقالاته العديدة التي تبلغ الآلاف في بطون الصحف والدوريات ووقف حياته كلها على خدمة الفكر الأدبي حتى لقي الله في (٢٦ من شوال ١٣٨٣هـ= ١٢ من مارس ١٩٦٤م).

■ ■ ■

obeikan.com

أربع نساء في حياة العقاد

عرف الكاتب والأديب والشاعر عباس محمود العقاد بمحاربته للمرأة ومعارضتها في حق المساواة مع الرجل فهي بنظره خلقت لخدمة الرجل وتربية الأولاد و طهي الطعام ...ولكن رغم مواقفه السلبية تلك كان معجباً بجمال المرأة متتبعاً له واصفاً إياه وقد نعم بحبها واكتوى بنيران هجرانها وصدها مراراً عدة .

يقول في وصف إحداهن مشبهاً إياها بكوكب يسري في الماء :

وحبيبة منهن تحسبها ... في الماء صورة كوكب يسري

فضية الأوصال مفرغة ... في الحسن من فرع إلى ظفر

لو ذاب جسم من نعومته ... في الماء ذابت وهي لاتدري

وكثيراً ما وصل في شعره إلى تقديس هذا الجمال :

أيها الناظروه بل تنظرون الله ... جهراً في نور ذاك الجبين

هذا الحب الذي كان يوزعه العقاد على الوجوه الجميلة التي تصادفه تحول أخيراً إلى حب خالص لنساء معينات كان لهن الأثر الكبير في حياته..ومن النساء اللواتي عشقهن العقاد وهام بهن : مي زيادة سارة المصلية الممثلة .

ويبدو أن مي زيادة الكاتبة والأديبة المعروفة بصالونها الأدبي الذي كانت تفتحه لعشاق الأدب يوم الثلاثاء قد حازت على حب العقاد الذي كان أصغر المترددين سناً على هذا الصالون إذ كان عمره آنذاك أربعًا وعشرين عاماً بينما لم يتجاوز سن مي السابعة والعشرين ...وهناك العديد من الرسائل المتبادلة ما بين العقاد ومي والتي تؤكد حبه لهذه الأديبة المتميزة ولم تنقطع الرسائل بينهما إلا خلال الفترة التي

شغل بها العقاد بالمعارك السياسية التي دارت بين حزب الوفد برئاسة سعدزغلول وخصوم الوفد إذ كان العقاد كاتب الوفد الأول آنذاك .

وعندما سافرت مي زيادة في صيف ١٩٢٥ إلى إيطاليا ومن ثم إلى ألمانيا أرسلت له رسالة تصف فيها رحلتها و الأماكن التي زارتها وعندما قرأ هذه الرسالة اشتاقت نفس العقاد إلى مي وكتب لها هذه القصيدة التي استقاها من وحي رسالتها :

آل روما لكم منا الولاء و ثناء عاطر بعد ثناء
وسلام كلما ضاء لنا شارق الصبح أو أظلم المساء

كما وصف مي بأنها كعبته التي تشتاق روحه للحج إليها :

في حماكم كعبة ترمقها مهج منا وآماق ظماء

ويتابع في القصيدة نفسها مؤكداً أن مي مازالت حلمه المشتهى :

أنت يا حسن وهل أنت سوى حلم في يقظة القلب أضاء

وترد عليه مي برسالة تصف فيها مشاعرها نحوه مبينة أن هذه المشاعر هي نفسها مشاعر الشاعر وهذه إشارة إلى تبادل الحب بينهما .

كما كانت في تصوره معبداً للحب على حين كان هذا الهيكل القديم وهو الهوى معبداً للمجد فلأيهما يسجد العقاد ياترى لها أم له:

معبد أنت للهوى وهو للمجد معبد
هيكل فيه هيكل أين يا حسن أسجد

ونراه يتلهف لتقبيل الحبيبة ويعتبر ممانعتها له في تقبيل يدها غضباً أو نوعاً من الدلال أو خوفاً من الرقيب :

صافحيني ألا مصافحة اليوم ولا قبلة على الكف عجلى
أغضاباً تحمينها أم دلالاً أم حذار الرقيب تنأين خجلى

وكثيرة هي القصائد التي أرسلها لمي خصوصاً عندما كان السفر يفرق بينهما... ولكن جذوة الحب لمي خفتت عند العقاد ويعود السبب في ذلك لتعرفه بسارة التي أعطته كل ما منعته عنه مي زيادة حتى صار مصير هذا الحب إلى الزوال كما يقول:

ولـــد الحـــب لنـــا وافرحتـــاه و قضى في مهـــــده وا أســـــفاه
مـــات لم يـــدرج ولم يلعـــب يشـــهد الـــدنيا ولم يعـــرف أبـــاه

وانقطع العقاد عن لقاء مي وعاش حياة لاهية مع سارة التي سقته كؤوس الحب مترعة .وعندما ألمت النوازل بمي بدءاً من موت الأب إلى موت الأم إلى الضائقة الاقتصادية وأخيراً دخولها إلى العصفورية في لبنان حزن عليها العقاد لكنه لم يستطع أن يقدم لها شيئاً إلا أنه رثاها بعد موتها أجمل رثاء:

رحمـــة الله عـــلى مـــي خصـــالا رحمـــة الله عـــلى مـــي فعـــالا
رحمـــة الله عـــلى مـــي جمـــالا رحمـــة الله عـــلى مـــي ســـجالا
كلما سجل في الطرس كتاب

ويتابع قائلاً:

تلكـــم الطلعـــة مازلـــت أراهـــا غضـــة تـــنشر ألـــوان حلاهـــا
بـــين آراء أضـــاءت في ســـناها وفـــروع تتهـــادى في دجاهـــا
ثم شاب الفرع والأصل وغاب

أما سارة وكما أسلفنا فقد قطف العقاد من شجرتها كل ما اشتهته نفسه على عكس مي التي لم تعطه إلا الغذاء الروحي .. ومن العجيب أن يفتن العقاد بامرأة تختلف عنه في الصفات والمنازع والأهواء لكن كما يبدو أن سارة التي التقاها صدفة قد قضت على الضياع والتدمير النفسي الذي كان يحس به لهذا فقد نعم بحبها و لم يترك ساعة واحدة تضيع منه دون أن يتمتع بهذا الحب وكان لايعد في حسابه اليوم

الذي يمر دون أن يرى فيه سارة ويسميه يوماً مزيفاً:

لـك وجـه كأنـه طـابع الصـدق عـلى صـفحة الزمـان المـألوف
إن يومـاً يمـر بي لا أراه هـو يـوم أعـده في الزيـوف

وكثيراً ما وصف حياته اللاهية مع سارة قائلاً:

قـبلات كـل يـوم وعنـاق و وداع كـل يـوم ولقـاء
واشـتياق كلـما حـان الفـراق وعهـود كلـما جـن المسـاء

ويبدو أن العقاد خاف أن يصبح ألعوبة في يد سارة أو تنصرف إلى غيره فاستبق الأمور وأنهى حبه لها بعد انقضاء عامين متعرفاً إلى حب جديد أنساه سارة:

مكانـك فـانظري فيـه هنـاك نزيلـة أخـرى
لقـد أسـليتني حبـاً حسـبت هـواه لا يسـلى

إذن العقاد على على مشارف حب جديد حيث التقى بمحبوبته الجديدة في إحدى مدن الصعيد وكانت تقيم بضاحية من ضواحي مصر على مقربة من الحقول الخضراء ..وكان طائر الكروان صلة الوصل بينهما و قد ألف العقاد ديواناً في هذا الحب سماه «هدية الكروان» أهداه إليها

إلا أن حبيبته التي كان يتلهف للقائها كانت من المصليات اللواتي يؤدين فروضهن المكتوبة وكثيراً ما تغزل في ماء و ضوئها هذا الوضوء الذي يحكي جمال روحها في الماء:

هنا -وياحسن ما ضمت هنا- قدح تغوي قلوب العطاش أي إغواء
في كـل قطـرة مـاء ههنـا أثـر من قالب الحسن في روح و أعضاء

وقد اصطرع الدين والغي في نفس العقاد إزاء هذه المصلية وأصبح بين نارين فهو لايستطيع مغالبة سكر الهوى ولامقاومة عطشه النفسي :

هذي خلاصة إنسان مقدسة ليست خلاصـــة أعنـــاب و صـــهباء
أخطـئ أنـا إن أحسســت في كبـدي شـــوقين مـــن نشـــوة فيهـــا وإرواء
تنـــازع الـــدين والغـــي الهيـــام بهـــا وقربـــت بـــين إســـعاد وإشـــقاء

لكن عندما وصل في حبه للمصلية إلى الذروة تركها ربما لأنه لم يستطع أن يقطف من شجرتها الثمار المشتهاة .

وتعرف إلى حب جديد هي «الممثلة» (م.ي) التي زارته في جريدة الجهاد كي يساعدها في الوصول إلى ما تريد ويشع نور الحب في قلبه من جديد رغم الفارق العمري بينهما فهو على أبواب الستين و هي مازالت في العشرينات ..وعندما كانت تظهر له و لعها به يشبه العقاد هذا الحب السخي بأنه مثل عودة الربيع في يوم خريفي لأنه يأتي بجديد المتاع:

مـــن جديـــد المتـــاع يـــوم خريـــف تحـــت وهـــج الســـماء عـــاد ربيعـــاً
ومحيـــــا في الأربعـــــين وديـــــع تحـــت بـــث الغـــرام شـــب سريعـــاً
نضـــح القلـــب بـــالجمال فســـوى مـــن ثنايـــا الغصـــون وجهـــاً بـــديعاً

ويعتبر أن الحب في الشيخوخة أحلى و أعمق و يقضي العقاد مع هذه الممثلة عامين وكله أمل بأن يتجدد بعام ثالث.... وعندما سافر إلى السودان عاد إليها وهو على أحر من الجمر قائلاً أن سبب رجوعه إلى مصر هو المحبوبة :

التقينا
والتقينا
عجباً كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعدما فرق قطران وجيشان يدينا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا

ويطمئن حبيبته بأنه لن يفارقها بعد اليوم و تنذر هي نذراً لإحدى القديسات كي لا يفرق الدهر بينهما.. على أن هذا الحب لم يستمر لأنه لم يكن متكافئاً ...إذ ساءت العلاقة بينهما إلى حد كانت ترحب بكل الناس إلا العقاد... و هكذا غدا حب العقاد لهذه الممثلة جزءاً من الذكرى

و بانتهاء هذا الحب للممثلة نستطيع القول أن حب العقاد انتهى باستثناء حبه لشخصيات هزيلة لم يقصد منها العقاد سوى الحصول على الملذات أو المنفعة .... أما النساء الأربع اللواتي ورد ذكرهن سابقاً فقدكن بارزات في حياة هذا الأديب الكبير ويبدو أن لكل واحدة منهن طعمها و مذاقها لهذا أرخ لحبه معهن بأروع القصائد التي تفيض بالشعور الإنساني المتدفق .

■ ■ ■

obeikan.com